في أصول التفسير

# مقدمة جامع التفاسير

## مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة

للإمام العلامة
أبي القاسم الراغب الأصفهاني

حققه وقدم له وعلق حواشيه
الدكتور أحمد حسن فرحات
الأستاذ المساعد بجامعة الكويت

دار الدعوة
١٩

# مقدمة جامع التفاسير

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

دار الدعوة

الكويت - ص.ب هاتف

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة المحقق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً . والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد النبي الأمي ــ الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ــ وعلى آله وصحابته ، ومن سار على دربه ونهجه واقتفى خطاه إلى يوم الدين وبعد :

فهذه مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني ــ وهي فصول في أصول التفسير ــ كانت قد نشرت في عام ١٣٢٩ هـ دون تحقيق ملحقة بكتاب « تنزيه القرآن عن المطاعن » للقاضي عبدالجبار ، وقد قام بنشرها محمد سعيد الرافعي ــ صاحب المكتبة الأزهرية ــ وطبعت بمطبعة الجمالية بمصر .

وقد وقعت على نسخة مصورة من هذه المقدمة مع تفسير للفاتحة وجزء من سورة البقرة في المكتبة المركزية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وجاءت تحت عنوان « النكات القرآنية » وهي مصورة من مكتبة طوبقبوسراي بتركية ، وقد وردت في فهارس المكتبة برقم 1616 EH - 6006 وهي في ٦٧ ورقة ، في كل صفحة ١٩ سطراً ــ اللوحة الأولى مذهبة ، وبعض الكلمات كتبت بالأحمر . والخط فارسي ، وليس فيها اسم للناسخ ، ولا بيان لتاريخ النسخ ، والظاهر من الخط أنها ليست قديمة . ولما كانت هذه المقدمة على غاية من الأهمية لأنها كما قلت فصول في أصول التفسير كتبت بقلم الراغب الأصفهاني المفسر المرموق ــ صاحب كتاب المفردات ــ كان لابد من تحقيقها وإعادة نشرها ، وذلك لأن النسخة المطبوعة والتي حاز ناشرها فضل السبق في طباعتها ونشرها لم تعد وافية بالغرض بالشكل الذي نشرت عليه ، فهي تحتاج إلى خدمة كبيرة في التحقيق والشرح ، لأنها كتبت بغاية الدقة والتركيز والاختصار ، يضاف إلى ذلك أنها لم تطبع إلا في عام ١٣٢٩ هـ ملحقة بكتاب « تنزيه القرآن عن المطاعن » فهي الآن تعتبر بمثابة المفقود ولم يشر صاحب المكتبة الأزهرية إلى النسخة الخطية التي اعتمد عليها في نشر هذه الرسالة ، وإن كانت مقارنتها بالنسخة الموجودة في دار الكتب ــ مكتبة تيمور ــ تشير إلى أنه قد اعتمد عليها في نشرها ، وقد اكتفى الناشر بكتابة هذا السطر على الصفحة الأولى من

الرسالة : « لا يسوغ لأحد أن يطبع هذه المقدمة إلا إذا أظهر نسخة خطية » .

وقد اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة على كلا النسختين المخطوطة والمطبوعة ، وقد أشرنا إلى المخطوطة بحرف « ت » وإلى المطبوعة بحرف « ع » . وأما فيما يتعلق بتفسير الفاتحة ومطالع سورة البقرة فاعتمادنا على المخطوطة وحدها .

وكان عملنا في هذه الرسالة منصباً على تحقيق النص وضبطه وشرحه والتعليق عليه ، وعَزْوِ الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية ، ونسبة الأشعار إلى مصادرها من الدواوين الشعرية ما أمكننا ذلك .

واستكمالاً للفائدة أرى أنه لابد بين يدي هذه الرسالة من كلمة تعرف بحياة الراغب الأصفهاني وكتبه المتعددة .

# الراغب الأصفهاني

**اسمه ونسبه** : هو الحسين بن محمد بن المفضل ــ أبو القاسم ــ الراغب الأصفهاني ــ كما جاء في كتاب « البلغة في تاريخ أئمة اللغة » للفيروز أبادي ص : ٦٩ ــ وهو أرجح ما روي في نسبه .

وقد أورده كذلك الزركلي في « الأعلام » : ٢٧٩/٢ ، وعمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » ٥٩/٤ وبروكلمان في « تاريخ الأدب العربي » : ٢٠٩/٥ ــ ٢١٢ ، ومحمد كرد علي في « كنوز الأجداد » : ٢٦٨ ــ ٢٧١ ، وجرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » : ٤٧/٣ ، والخوانساري في « روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات » : ٢٤٩ .

وجاء في فهرس التيمورية : ١٠٨/٣ : « الحسين بن المفضل بن محمد الأصفهاني الملقب بالراغب » وورد في « بغية الوعاة » : ٣٩٦/باسم المفضل ، وكذلك ورد في مقدمة كتاب « الذريعة » . أما في مقدمة « المفردات في غريب القرآن » من تصنيفه فجاء بلفظ « ابن الفضل » .

وقد أسقط البيهقي في « تاريخ حكماء الإسلام » : ١١٢ ــ ١١٣ كلمة « الحسين » حيث جاء باسم : « الحكيم **أبو القاسم** بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني » .

**ولادته ونشأته** : لا تشير المصادر التي بين أيدينا إلى مكان ولادته ولا إلى زمانها ، وكل ما ورد فيها أنه من أهل أصبهان وسكن بغداد ، وإنه لأمر غريب حقاً أن يكون مثل الراغب الأصفهاني مجهول مكان الولادة وزمانها ــ وهو من هو في فضله وعلمه ــ وقد حاول الأستاذ محمد كرد علي في كتابه « كنوز الأجداد » ــ ٢٦٨ ــ ٢٧١ ــ أن يبين السبب في ذلك حينما قال :

« لاتصال العلماء والأدباء برجال السلطان وتصرفهم لهم في القضاء والعمالات ، أو تقربهم منهم بالمنادمة والتأديب والشعر دخل كبير في استفاضة شهرتهم وتناقل آرائهم وتآليفهم . وكم من عظيم لم يتولَّ قضاءً ولا عملاً للدولة بقي على خمول لا يكاد يشعر به ، ولا يعرفه غير بعض أبناء حيه . ومنهم على ما يظهر الراغب الأصفهاني . لم يترجم له حتى أصحاب الطبقات من أهل مذهبه » .

ثم يقول الأستاذ كرد علي بعد ذلك : « أما أين قرأ الراغب وعمّن أخذ ، وكيف نبغ ، وكيف

نفع ؟ إلى غير ذلك من خصائصه وحليته ورحلته ؟ فلم نقف على شيء منه يبلُّ **الغُلَّة** . وكانت أصفهان في أيامه عُشَّ العلماء والأئمة على ما كانت نيسابور ، لم تكن تخرج مدينة من المدن في فارس أمثالهم في كل فن ولاسيما الحديث وحفاظه ، على أننا لا نعرف إن كان الراغب نشأ في تلك المدينة الجميلة ، أم إنها موطن أسرته ؟ وهو عاش في مدينة أخرى من فارس ؟ » .

هذا ما ذكره محمد كرد علي في تعليل إهمال المصادر العلمية لمكان ولادته وتاريخها ، وهو أحد الاحتمالات التي يفترضها العقل في مثل هذه الحالة ، إلا أنه ليس لدينا ما يرجح ذلك أو يضعفه ، ويبقى الأمر موضع تساؤل واستغراب .

أما وفاة الراغب فقد كانت على الأرجح سنة ٥٠٢ هـ كما ذهب إلى ذلك معظم المحققين .

**شهرته وألقابه العلمية** : وصفه صاحب « روضات الجنات : ٢٤٨ » بأنه : الإمام الأديب والحافظ العجيب صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر والكتابة والأخلاق والحكمة والكلام وعلوم الأوائل وغير ذلك، فضله أشهر من أن يوصف ، ووصفه أرفع من أن يعرف » .

وقال فيه البيهقي في **« حكماء الإسلام »**: ١١٢ ــ ١١٣ : « كان من حكماء الإسلام ، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه » .

وقال محمد كرد علي في « كنوز الأجداد » : « وغاية ما اتصل بنا من أخباره أنه كان صاحب لغة وعربية وحديث وشعر وكتابة وأخلاق وحكمة وأنه عارف بعلوم الأوائل وغير ذلك » ــ وهو نفس الوصف الذي ذكره الخوانساري في « روضات الجنات » ــ **كما وصفه كرد علي بأنه** « عظيم الشرع ونابغة العقل » .

وقال فيه الزركلي في **« الأعلام » : أديب** من الحكماء العلماء .

وقال فيه كحالة في « معجم المؤلفين » : أديب ، لغوي ، حكيم ، مفسر .

وقال فيه جرجي زيدان في « تاريخ آداب اللغة العربية » ٤٧/٣ ــ : « كان فقيهاً عالماً في اللغة والأدب ، وله علم واسع ساعده في تأليف الكتب النافعة» .

وجاء في ترجمته المصدرة بكتاب « تفصيل النشأتين وتحقيق **السعادتين** » المطبوع في بيروت سنة ١٣١٩ بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري صفحة ٢ :

وبالجملة فالإمام الراغب ممن أجمعت على فضله العلماء الأعلام على اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم » . ونختم كلامنا في ترجمة الراغب بما ختم به محمد كرد علي حيث قال : « هذه نتفة من سيرة عظيم الشرع ونابغة العقل ، ولم نعرفه إلّا كما عرفنا أكثر العلماء ، مثّلوهم لأعيننا كباراً من أول يوم ، وما وقفوا على بيوتهم ونشأتهم ودراستهم وشيوخهم ومعاشهم وصفاتهم ، وما وقع لهم من الأحداث في حياتهم مما كانوا لا يرون فيه كبير أمر وممن لا نتصور الرجال إلا به » .

## عقيـدة الراغب الأصفهاني

لقد أوتي الراغب الأصفهاني عقلاً كبيراً ، وقدرة فائقة على الجمع بين الأقوال التي يبدو أنها متعارضة كما يظهر ذلك من خلال كتبه ومؤلفاته ، وكتابه هذا « جامع التفاسير » خير مثال لما نقول ، وقد جرى في تفسيره على نفس الأصول التي قررها في المقدمة ، وهو يحاول دائماً تصحيح كل قول باعتبارٍ يشهد له إن أمكن ، ولا يردُّه إلا إذا كان ظاهر الفساد واضح البطلان ، وقد وُفق الراغب في هذا النهج الذي سلكه توفيقاً كبيراً نتيجة لقدرته الفائقة على السبر والتقسيم وإدراك الدقائق والفروق ، ورد الجزئيات إلى كلياتها ، وعدم تعصبه لمذهب معين ، مما جعله صاحب شخصية مستقلة في الفهم يصعب إدراجه ضمن مذهب محدد من المذاهب الكلامية المعروفة وهذا ما دعا المترجمين له إلىٰ الاختلاف في بيان عقيدته :

يقول السيوطي في كتابه « بغية الوعاة »[1] : « وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبدالسلام ما نصه : « ذكر الإمام فخر الدين الرازي في « تأسيس التقديس » ــ في الأصول ــ أن أباالقاسم الراغب من أئمة السُّنَّة وقرنه بالغزالي ، وهي فائدة حسنة فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي » .

فالسيوطي رغم اطلاعه الواسع وقراءاته الكثيرة كان يظن أن الراغب معتزلي حتى وجد نصاً للزركشي يبين أنه من أهل السنة ويفرح لذلك ويعلّق عليه بقوله : « وهي فائدة حسنة فإن كثيراً من الناس يظنون أنه معتزلي » ومبعث هذا الظن هو ما قدَّمناه من عدم التزامه بمذهب معيَّن

---

( ١ ) بغية الوعاة : ٣٩٦

ومحاولته الجمع بين الأقوال باعتبارات متعدّدة ما أمكنه ذلك ، إلّا إذا كان الأمر لا يصح بأي اعتبار فإنه يردُّه ولا يقبله .

ويرى صاحب « روضات الجنات »[1] أنه أقرب لأن يكون أشعرياً وذلك حين يقول : « **قيل** : ويظهر أنه كان أشعريَّ الأصول »

ولا يمكن الجزم بذلك نظراً لعدم الالتزام الكامل كما قلنا بمذهب من المذاهب ، نعم قد يستفاد هذا من بعض المواقف أو بعض الأقوال ، لكن تعميم ذلك يحتاج إلى استقراء ، وذلك يصعب توافره نظراً لمنهج الراغب الذي يقوم على قبول الأقوال المتعددة باعتبارات مختلفة ، ولعلّ الذي ينفي أنه من المعتزلة ويُثْبت أنه من الأشاعرة يعتمد على مثل هذا القول الذي ذكره الراغب في كتابه « المفردات » حيث قال في معرض تفسيره لمادة « جبر » :

« .. فأما في وصفه تعالى نحو « العزيز الجبار المتكبر » : فقد قيل سُمِّي بذلك من **قولهم:** جبرتُ الفقير لأنه هو الذي يَجْبُرُ الناس بفائض نعمه .

وقيل : لأنه يَجْبُرُ الناس ــ أي : يقهرهم ــ على ما يريده . ودفَعَ بعض أهل اللغة ذلك من حيث اللفظ فقال : لا يقال من « **أَفْعَلْتُ** » : « فَعَّال » فـ « جبّار » لا يبنى من « أجبرت » فأجيب عنه بأن ذلك من لفظ « جَبَرَ » المرويّ في قوله : « لا جَبْرَ ولا تفويض » لا من لفظ « الإجبار » . وأنكر جماعة من المعتزلة ذلك من حيث المعنى فقالوا : يتعالى الله عن ذلك ، وليس ذلك بمنكر فإن الله تعالى قد أجبر الناس على أشياء لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية ، لا على ما تتوهمه الغواة الجهلة ، وذلك كإكراههم على المرض والموت والبعث ، وسخّر كلاً منهم لصناعةٍ يتعاطاها وطريقةٍ من الأخلاق والأعمال يتحراها ، وجعله مُجبراً في صورة مخيَّر فإمّا راضٍ بصنعته لا يريد عنها حِوَلاً ، وإما كاره لها يكابدها مع كراهيته لها لا يجد عنها بدلاً ، ولذلك قال تعالى : ﴿ **فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُراً كل حزبٍ بما لديهم فرحون** ﴾ وقال عز وجل ﴿ **نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا** ﴾ وعلى هذا الحدِّ وصف بالقاهر وهو لا يقهر إلّا على ما **تقتضي** الحكمة أن يقهر عليه » .

وواضح من هذا النص ردُّه على قول المعتزلة واستعماله لمصطلح الأشاعرة : « مجبر في صورة

---

( ١ ) روضات الجنات : ٢٤٨

مخيّر » . وذلك كما قلنا لا يكفي دليلاً جازماً على أنه كان يلتزم مذهب الأشاعرة دائماً .

ولم ينحصر الخلاف بين المترجمين للراغب في كونه أشعرياً أو معتزليّاً ، بل إن بعض كُتّاب الشيعة ترجم له في طبقات أعلام الشيعة فقد قال آغا بزرك الطهراني في كتابه « طبقات أعلام الشيعة » : « اختلف في كونه شيعياً ، والعامَّة صرّحوا بكونه من عامة المعتزلة ، وكذا بعض الخاصة ، لكن الشيخ حسن بن علي الطبرسي صاحب « كامل بهائي » صرح في آخر كتابه « أسرار الإمامة » أنه من حكماء الشيعة الإمامية » .

ويبدو أن الذين حاولوا نسبته إلى التشيُّع اعتمدوا في ذلك على بعض عباراته التي تجلُّ الإمام علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ كأن يقول عنه دائماً « أمير المؤمنين » أو أن يقول أحياناً « عليه السلام » بدلاً من « رضي الله عنه » وقد صرّح بذلك الدكتور محمد أحمد خلف الله أثناء تعريفه بالراغب في مقدمة تحقيقه لكتاب المفردات حيث قال : « وكما يختلف الناس في تاريخ وفاته يختلفون في مذهبه الديني فهو سني عند البعض وشيعي عند البعض ومن المعتزلة عند الآخرين » إلى أن يقول : « ويبدو لي من احترامه الشديد للإمام علي ــ كرم الله وجهه ــ أنه كان من الشيّعَة ويذكر الشيخ حسن بن علي الطبرسي أنه كان من حكماء الشيعة الإمامية » .

ولاشك أن هذا لا يصلح دليلاً يعتمد عليه في مثل هذا المجال وكما ذهب إلى ذلك صاحب « روضات الجنات » حيث قال : « .. وفي بعض الكتب أنه اختلف في تَشَيُّعِه ، وكأنه لما يتراءى من تقويته جانب الحق في بعض مصنفاته ، وأنت خبير بأن مثل ذلك لو كان دليلاً على حقيقة الرجل لما وجد للباطل بعد مصداق . كيف ولما يوجد بحمد الله لأشد النواصب إلى الآن مُصَنَّف لــم يكن فيه شيء من مديح أهل البيت وشطر من مثالب مخالفيهم بالكتابة أو التصريح » ثم يقول بعد ذلك :

« وإذن فالمرجع في تشخيص المذهب الحق إلى الموافقة لأهله في جملة الضروريات والاقتفاء لآثارهم المحمودة في أصول المذهب وفروعه لا غير » . ويقصد بذلك أن الراغب لم يكن كذلك بالنسبة للشيعة فهو لا يوافقهم في أصل المذهب كما لا يوافقهم في فروعه ، وهذا من أوضح الواضحات . ثم يقول صاحب « روضات الجنات » عن الراغب : « نعم في كثرة روايته عن أهل البيت المعصومين ، وتعبيره عن سيدنا الإمام الهمام علي بن أبي طالب بأمير المؤمنين المطلق وعدم نقله عن سائر الخلفاء مهما استطاع هداية المتدرِّب الفطن إلى رشده وهدايته » .

فرجع الأمر كله إلى ما سبق أن أشرنا إليه من إجلال علي ــ رضي الله عنه ــ وتسميته بأمير المؤمنين . فأما عدم نقله عن سائر الخلفاء مهما استطاع ، فهذا كلام لا يصح لأنه ينقل عن سائر الخلفاء الراشدين ولا يفرق بين واحد وواحد ، كل ما هنالك أن الذي يتحكم في النقل طبيعة الموضوع وطبيعة المروي عن الخلفاء ودلالته بالنسبة لما يستشهد به عليه .

ورغم هذا الاختلاف المذهبي بين الشيعة من جانب والراغب الأصفهاني من جانب آخر فإنهم يقدرونه ويحترمونه لما سبق أن أشرنا إليه من بعض عباراته في تمجيد أمير المؤمنين **علي بن أبي** طالب رضي الله عنه ــ بل ربما يستفيدون من كتبه اللغوية خاصة وكما يشير إلى ذلك صاحب « روضات الجنات » : « وكفاه منقبة أن له قبول العامة والخاصة وفيما تحقق له من اللغة خاصة » ــ يريد بقوله : العامة والخاصة : السنة والشيعة .

وكما رجح صاحب « روضات الجنات » أنه أشعري الأصول كذلك رجح أنه كان من الشافعية في الفروع حيث يقول : « وكان من الشافعية كما استفيد لنا من فقه محاضراته » .

ورغم أن الراغب سني غيرُ شيعي بيقين إلا أنه لا يمكن حصره في واحد من مذاهب أهل السنة والجماعة نظراً لِسَعَةِ إدراكهِ وبُعْدِ نظراته ، وقدرته على استيعاب وجوه الخلاف وتصحيحه للأقوال المتباينة باعتبارات متعددة .

**كتبه ومؤلفاته :**

لقد ترك الراغب الأصفهاني من بعده عدداً كبيراً من الكتب والمؤلفات النافعة ، وهي تدل على مبلغ علمه وفضله ، وفي ذلك يقول الأستاذ محمد كرد علي في كتابه « كنوز الأجداد » :

« وكأن لسان الحال نادى مَنْ غَفَوا أو تغافلوا عن التَّنويه به في كتبهم : إنكم ياهؤلاء إذا أهملتموني فالقدرة تعلقت بأن تناقل الناس كتبي وانتفعوا بها في مختلف الأعصار والأقطار وهل يستغني طالبُ الوقوفِ على أسرار التنزيل عن الأخذ من كتابه « المفردات في غريب القرآن » وقد شاع بين الناس باسم « مفردات الراغب » ؟ وهل تُسَد حاجة المتفقه بغير كتابه « الذريعة إلى مكارم الشريعة » إذا أراد الجمع بين أحكام الشرع ومكارمه علماً وعملاً ؟ وهل يتم أدب المتأدب إذا لم يأخذ من كتابه « محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء » الذي أطلق عليه الناس

اسم « محاضرات الراغب » ــ تخفيفاً ــ فاقترن باسمه على الدهر ؟ وهل المتعلم في غنية عن مدارسة كتابه « تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين » ؟ .

ثم يقول محمد كرد علي : « الراغب لا يتكلم عن نفسه ، بل ينقل في العلم والأدب ــ اللهم إذا حكمنا عليه بما بقي لنا من ممتع تراثه هذا وهي الكتب الأربعة السابقة ــ كلامَ مَن تقدّمه ويضع الدساتير ويختط الخطط وقد امتاز بأن العقل يتجلّى في سطوره ، فهو من أعظم العلماء الذين يحسنون استخراج الآي من القرآن ويوردونها عند الاقتضاء دليلاً على ما يريدون الإفاضة فيه .

ومن أعظم من طبقوا الحكمة ــ أي علم العقل على الشرع ــ كما امتاز بتنسيق فصول كتبه وسهولة عبارتها مع بلاغتها واقتصاره في تقريره على ما يجب أن يبقى في الذهن ولا تعافه النفس لطوله ولفه ودورانه يقول لك الراغب في المفردات : إن أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه ، كتحصيل اللِّبن في كونه من أوائل المعاوِن في بناء ما يريد أن يبنيه ، وليس ذلك نافعاً في علوم القرآن فقط ، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع ، فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطة كرائمه ، وعليها اعتماد العلماء والفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكَمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم » .

ويقول لك في « الذريعة » : « إنه باكتساب المكرمة يستحق الإنسان أن يوصف بكونه خليفة الله تعالى المعني بقوله تعالى : ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ **ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ وبقوله تعالى ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوَكم فيما آتاكم** ﴾ وان خلافة الله ــ عز وجل ــ لا تصحّ إلا بطهارة النفس ، كما أن أشرف العبادات لا تصح إلا بطهارة الجسم » . وكتاب « الذريعة » هذا قال فيه السيوطي في « بغية الوعاة » : قيل : إن الإمام حجة الإسلام الغزالي كان يستصحب كتاب « الذريعة » دائماً ويستحسنه لنفاسته . ويقول لك في « تفصيل النشأتين » :

« إن العقل لن يهتدي إلّا بالشرع ، والشرع لا يتبيَّن إلا بالعقل ، فالعقل كالأسّ ، والشرع كالبناء ، ولن يغني أُسٌّ ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أُسّ ، وأيضاً فالعقل كالبصر

والشرع كالشعاع ، ولن يغني البصر مالم يكن شعاع من خارج ، ولن يغني الشعاع مالم يكن بصر ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه** » وأيضا فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده فإن لم يكن زيت لم يحصل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت ، قال الله تعالى : ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دُرّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** ﴾ والله هو الهادي .

وأيضاً فالشرع عقل من خارج ، والعقل شرع من داخل ، وهما متعاضدان بل متحدان ، ولكون الشرع عقلاً من خارج سلب الله تعالى اسم العقل من الكافر في غير موضع من القرآن نحو قوله : ﴿ **صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾ ولكون العقل شرعاً من داخل قال في وصف العقل : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾ ، فسمّى العقل ديناً ، ولكونهما متحدين قال : « نور على نور » أي : نور الشرع ونور العقل ، ثم قال : ﴿ **يهدي الله لنوره من يشاء** ﴾ فجعلهما نوراً واحداً ، فالشرع إذا **فَقَدَ العقلَ** عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد الشعاع » .

وهكذا يمضي محمد كرد علي في حديثه عن كتب الراغب فيتكلم عن كتابه « محاضرات الأدباء » وما يمتاز به والفوائد التي تتحصل لقارئه . غير أن حديث كرد علي عن كتب الراغب محصور في ما طبع منها ، واستكمالاً للحديث عن كتبه نرى أنه لا مندوحة لنا من التعريف بكتبه المخطوطة التي وقفنا على خبرها ، ومنها :

١ ــ « تحقيق البيان »[1] وقد ذكره الأستاذ أسعد طلس في مقاله « نفائس المخطوطات العربية في المشهد الرضوي المطهر » المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي ٢٧٥/٢٤ وقال الأستاذ طلس : ولم أر من أشار إلى هذا الكتاب فيمن ترجمه . والكتاب فريد وجدُّ نفيس في موضوعه ، فيه أمور في اللغة العربية والأخلاق والحكمة ، ولكن أوله مخروم ، يبدأ هكذا « .. في صوره المختلفة وذلك ظاهر من خبر جبرائيل وإتيانه النبي ــ ﷺ ــ تارة .. » وآخره : « .. ذكر الطريق المتوصَّل

---

( ١ ) ورد في روضات الجنات/٢٤٨/ باسم « تحقيق البيان في تأويل القرآن » والظاهر أنه خطأ . وكذلك ورد في « الذريعة إلى تصانيف الشيعة » لآغا بزرك الطهراني /٤٥/٥ - ٤٦ .

بها إلى المعارف . المعارف ضربان » .. وعدد أوراق المخطوط : ١٦٩ ورقمه ( ٥٦ ) أدبيات .

٢ ــ أفانين البلاغة : وقد سماه الراغب في مقدمته « جماع البلاغة » كما في إحدى النسخ الخطية و « مجمع البلاغة » في إحدى النسخ الأخرى وقد جاء في مقدمته :

« الحمد لله طاقَةَ العباد وسَعَةَ البلاد حمد العارف بفضل العوارف . وصلَّى الله على مَن هدانا ببيانه ، وأنزل كتابه على لسانه وعلى الأصفياء من عترته ، والأخيار من زمرته .

قال أبو القاسم الراغب : اعلم أن الأَدَب لا يتنكَّرُ على الجملة فضلُه ، ولا يستتر عند المحصِّلَة نبله ، وإن كان في وقتنا هذا قد تقضَّت مواسمه ، وطُمِسَت عند العامة معالمه ، وصار بنوه طُرَّاً في هوان بمَسقِط ذلك الشِّعْبِ القَصيّ تدوسهم الأنعامُ بأخفافها ، وتطؤهم الأغنام بأظلافها ، إلّا من أمدَّه الله بعفافٍ وكفاف ، فمنعه عفافُه عن دِقاق لئيم المطامع ، ودفعه كفافه عن وخيم المطاعم ، فصان العلوم بخلقه وصانته ، وزانها بنزاهته وزانته ، فمن لا يكرِّم نفسَه لا يكرم :

ولو أن أهل العِلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لَعُظِّما
ولكن أهانوه فهانوا ودنَّسوا محيَّاه بالأطماع حتى تجهَّما

ورحم الله أبا عبيدة حيث يقول : من أراد أن يأكل الخبز بالعِلم فلتبك عليه البواكي زهدنا الله في فضول المال المورث للوبال ، وجعلنا ممن يطلب العلم رعاية لا رِواية ، و مِمّن يظهر حقيقة ما يعلمه بما يعمله ، فقد قال النبي ــ ﷺ ــ : « من ازداد في العلم رشداً ، ولم يزدد في الدنيا زهداً ، لم يزدد من الله إلّا بعداً » .

ولما رأيتك ــ حرس الله جميل الفضل بك ــ مائلاً إلى الألفاظ المونقة ، والمعاني الغضَّة المورقة ، والبدائع من الكَلِم التي تقصر عن درجة المتعمق المتكلِّف ، وتتجاوز مرتبة الغبي المسفسف ، تتبعت نوادر الأشعار وغررها ، فما عثرت عليه من واسطة فِقَرٍ انتخبتها ، وما انتهيت إليه من أعلام جَيْر اقتنصتها وجمعتها ، وما وجدته في كلام البلغاء من لفظ يُعَدُّ في السحر الحلال والعذب الزلال ضممته إليه فعملت من ذلك كتاباً مُبَوَّباً سميته « مجمع البلاغة » ، ومتى عنَّ بيت يزول حسنه إذا قطع سلكه ذكرته قرب فقرة لا يروق منظرها إلّا منظومة ، وربما انتهيت إلى نكتة واردة في معنى ما ، فإذا اختلست في أثناء الكلام كانت بغير ما وردت أليق إما حقيقة وإما استعارة فنقلته إليها ، فلا يظنّ الناظر فيه أن ذلك من جهل بموقعه ، وليتأمّله بعين الإنصاف . وليس هذا الكتاب إلّا لمن تجاوز المنزلة الدنيا في البلاغة وعرف الاستعارات وانواع المحاورات ،

والرجاء أن مَن ينظر فيه منصفاً عرف لمصنفه تأثيراً بيِّنا ، نعوذ بالله ممن عقلُه صديق مقطوع ، وهواه عدو متبوع ، ونسأله أن يعصمنا من الزَّلَل ، ويُوَفقنا لصالح العمل بلطفه ومَنِّه إنه جواد كريم » .

٣ ــ دُرَّة التأويل وغُرَّة التنزيل :

وهو في المتحف البريطاني برقم/٥٧٨٤/٥٣/ كما ذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي وقال فيه : وهو عن الآيات المكررة في مواضع كثيرة من القرآن بألفاظ مختلفة .

وقد ورد في بعض المصادر باسم « حل متشابهات القرآن » ويوجد منه نسخة خطية بهذا الاسم في راغب باشا في تركية وهو في/١٨٠ ورقة وكل صفحة ٢٣ سطراً . ويبدو أن هذا الكتاب هو نفس الكتاب المطبوع « درّة التأويل وغرّة التنزيل » والمنسوب إلى الخطيب الإسكافي ، وقد سمعت بأن مقالاً نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في عمان يؤكد صحة نسبة الكتاب المذكور للراغب الأصفهاني وينفي أن يكون للخطيب الإسكافي ولكني لم أطَّلِع عليه .

٤ ــ رسالة منبهة على فوائد القرآن :

وقد ذكرها بروكلمان ، وقال بأن الراغب أشار إليها في أول كتاب « مفردات القرآن » حيث قال في مقدمة كتاب « المفردات » : وأحيل بالقوانين الدّالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التي عملتها مختصة بهذا الباب ، ففي اعتماد ما حررته من هذا النحو استغناء في بابه من المثبطات عن المسارعة في سبيل الخيرات ، وعن المسابقة إلى ما حثنا عليه بقوله تعالى : ﴿ **سابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم** ﴾ سهّل الله علينا الطريق إليها .

٥ ــ تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد :

وقد أشار إليه في مقدمة « المفردات » حينما قال : « وأُتبعُ هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونَسَاً في الأجل بكتاب ينبيء عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته ، نحو ذكره « القلب » مرة . و « الفؤاد » مرَّةً و « الصدر » مرةً ، ونحو ذكره تعالى في عقب قصة : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ وفي أخرى ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ وفي أخرى ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ وفي أخرى ﴿ **لقوم يفقهون** ﴾ وفي أخرى ﴿ **لأولي الأبصار** ﴾ وفي أخرى

﴿ لذي حجر ﴾ وفي أخرى ﴿ لأولي النهي ﴾ ونحو ذلك مما يَعدُّه من لا يحق الحق ويبطلُ الباطل أنه باب واحد ، فيُقدّر أنه إذا فسّر « الحمد لله » بقوله : **الشكر لله** ، و «لا ريب فيه » بـ : لا شك فيه ، فقد فسر القرآن ووفاه البَيان » .

ولا نعلم إذا كان هذا الكتاب قد كتب له أن يرى النور أو لم يكتب ، ويبدو أنه لا وجود له فيما وصلنا من علم عن كتب الراغب حتى الآن .

٦ ــ كتاب الأخلاق ــ ذكره بروكلمان ــ ومنه نسخة خطية في برلين تحت رقم/٥٣٢٩ .

٧ ــ كتاب « الإيمان والكفر » ذكره صاحب الروضات وقال فيه : « بديع الطرز حسن الفوائد ، قيل ويظهر منه أنه كان أشعري الأصول .

٨ ــ جامع التفاسير :

وقد قال فيه السيوطي في « بغية الوعاة » : هو تفسير معتبر .. أورد في أوله مقدمات نافعة في التفسير ، وطِرزُه ــ أسلوبه ــ أنه أورد جملاً من الآيات ثم فسّرها تفسيراً مشبعاً ، وهو أحد مآخذ أنوار التنزيل للبيضاوي ، غير أن بعضهم جعل مفردات الراغب أحد مآخذ القاضي البيضاوي في تفسيره ، ولا تنافي بين القولين .

وقال فيه الفيروز أبادي في « البلغة/٦٩ » : التفسير الكبير ــ في عشرة أسفار ــ غاية في التحقيق .

ويوجد من هذا التفسير النسخ الخطية التالية فيما وصل إلينا علمه :

ــ ٩٨ ــ الجزء الأول منه يبتديء بالبسملة وأضيفت له مقدمة في علم التفسير صورت عن رقم ( ٩٦ فيض الله ) لإكمال هذا الجزء ، وينتهي بآخر المائدة ، وبآخره نقص وقد كتب في القرن السادس ــ ولي الدين جار الله ٣٩٥٠٨٤ ق . ١٩ × ٣٠ سم .

ــ ٩٩ ــ الجزء الثاني منه ، تبتديء هذه الجملة منه بتفسير أول سورة يوسف إلى آخر سورة الأحزاب وقد كتب في القرن الثامن بخط مقروء ــ ولي الدين جار الله ٢٣٣٠٨٦ ق . ٢٢ × ٣٠ سم .

ــ ومنه جزء في أيا صوفيا تحت رقم ٢١٢ ذكره بروكلمان .

ــ ومنه مصورة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد في ٢٢٤ ورقة حجم ١٩ × ١٠ سم ت ص :

٤٤ فلم ٦٢ رقم ٣٦٦ ــ معهد الدراسات الإسلامية العليا ــ جامعة بغداد .

ــ قطعة منه تشتمل على تفسير الآيات من أول سورة « المؤمنون » أولها : سورة المؤمنون وهي مكية في قول الجميع ، وهي مائة وتسع عشرة آية وألف وثمان مائة وأربعون كلمة ، وآخرها « بإظهار ندامته » يعني : ان القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم « كذا » وقولهم : « ياليت لنا مثل هذا » .

ـ نسخة حسنة بخط نسخي دقيق ترقى إلى القرن الثاني عشر ، في أولها تمليك للسيد عبدالله الأمين ، ووقفية على المدرسة الخاتونية ببغداد سنة ١٢١٥ هـ ــ هكذا جاء في الآثار الخطية للمكتبة القادرية ببغداد : ٨٦/١ ــ عبدالسلام رؤوف .

ــ مقدمة التفسير ــ فهرس التيمورية : ١٣٢٥/١ خط وتحت رقم ( ٣٦١ ) .

ــ النكات القرآنية ــ طو بقبو سراي تحت رقم 9009 E. H 1616 في ٦٧ ورقة كل صفحة ١٩ سطراً اللوحة الأولى مذهبة وبعض الكلمات بالحمرة مسطرتها : ٢٠ ١/٢ × ١٣ سم وهي عبارة عن مقدمة التفسير وتفسير سورة الفاتحة ومطالع سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ــ وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في التحقيق ــ وبانتهاء الكلام في مؤلفات الراغب نكون قد أتينا على نهاية هذه المقدمة التعريفية والتي نرجو الله تعالى أن تكون مدخلاً نافعاً لدراسة هذه الفصول في أصول التفسير وتطبيقاتها العملية في تفسير سورة الفاتحة ومطالع سورة البقرة ، جعل الله عملنا خالصاً لوجهه ، وسدّدنا لما فيه رضاه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور أحمد حسن فرحات
جامعة الكويت ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الجمعة

١: